الحياء ... والحجاب

الحياء غريزة طبيعية ، خلقها الله – سبحانه وتعالى – في طباع الإنسان ، سواء أكان رجلا أم إمرأة ، أو طفلا مميزاً ، وهذه الغريزة الطبيعية ، التى هي من فطرة الله – عزوجل – التى فطر عليها الإنسان ، تنمو سلبا أو ايجابا ، وفقا لنشأة الطفل فيتأثر بالبيئة التى نشأ فيها، وآبائه أو الأشخاص الذين تولوا تربيته ورعايته ، والقيم الأخلاقية التى علموه إياها ، وما شاهده فعلا من هذه القيم في سلوك الذين يتعامل معهم أو ممن يعتبرهم قدوة له، من الأشخاص البارزين في المجتمع.

وقد جاء لفظ " الحياء " مرة واحدة في القرآن الكريم في سورة القصص [1] ، عندما حكى الله سبحانه وتعالى ، قصة سيدنا موسى عليه السلام ، فقال تعالى : " فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير. فجاءته إحداهما تمشى على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لا تخف نجوت من القوم الظالمين " .

وأحاديث الرسول ﷺ كثيرة في الحث على الحياء نشير منها إلى مايلي [2] :

– عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال :

" الإيمان بضع وسبعون شعبة [3] والحياء شعبة من الإيمان "

– عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله ﷺ :

" الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان ".

– عن الزهري ، عن سالم ، عن أبيه ، سمع النبي ﷺ رجلا يعظ أخاه في الحياء . فقال : " الحياء من الإيمان " .

---

(1) الآيتان 24 ، 25

(2) صحيح مسلم ج1 ص 63 ، 64 باب بيان عدد شعب الإيمان وأفضلها وأدناها وفضيلة الحياء وكونه من الإيمان

(3) أي : خصلة .

openkanar.com

– عن قتادة ، قال : سمع أبا السوار يحدث ؛ أنه سمع عمران بن حصين يحدث عن النبي ﷺ أنه قال : " الحياء لا يأتي إلا بخير ....."

– أن أبا قتادة حَدَّثَ ؛ قال: كنا عند عمران بن حصين في رهط منا ، فقال : قال رسول الله ﷺ " الحياء خير كله " قال أو قال : " الحياء كله خير.... " .

– عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال :

" استحيوا من الله حق الحياء ، قلنا : يا رسول الله إنا نستحيي والحمد لله .

قال : " ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفظ الرأس وما وعى (الحواس من بصر وسمع ولسان) والبطن وما حوى (المطعوم والفرج) رواه الترمذى وأحمد والحاكم .

وقد يتساءل قارئ عن علاقة الحياء بالحجاب ، وأقول له إن العلاقة وطيدة متينة ، فالحياء يدفع المرأة دفعا إلى عدم إظهار عورتها ويدعوها إلى التمسك باحتشامها وارتدائها الملابس التى أمر بها الإسلام بألا تصف ولا تشف وتغطى جميع جسمها إلا الوجه والكفين.

والحياء يدفعها أيضا إلى عدم الخضوع بالقول أو الفعل أمام الأغراب من الرجال، وإلى تجنب الزينة في الوجه أمامهم ، فتصرفاتها هذه تبعد الشبهات عنها ، وتصرف عنها من في قلبه مرض ، والحياء من الله ، يدفع المرأة إلى طاعته وعدم معصيته ، لنعمه العظيمة التى أنعم بها علينا ، ومن التقصير الشديد مقابلة الجميل والإحسان ، بالعصيان وارتكاب المحرمات.

وحسبنا ما رواه القرآن الكريم في الآيتين / 24 ، 25 من سورة القصص ، فسيدنا موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، عندما وجد الفتاتين في حاجة إلى المساعدة ، لم يتردد في تقديم يد العون إليهما، ثم انصرفا وانصرف هو إلى حال سبيله ، يدعو الله عز وجل دعاء فيه بلاغة ويتضمن رغم اعترافه بالفقر، إلا أنه يعترف – في الوقت نفسه – أنه يعيش في خير من الله ، وأن الله أفاض عليه من الخير ولكنه يطمع في المزيد من فضل الله وبركته وخيراته ، "وأنه عرض بالدعاء ولم يصرح بالسؤال، وأن إحدى الفتاتين جاءته تمشي على استحياء ، أي بأدب ووقار، "وقيل: جاءته ساترة وجهها بكم درعها ؛ قاله عمر بن الخطاب [1] ".

---

(1) الجامع لأحكام القرآن ج13 ص 270 .

obeikandi.com

" وروى أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لما جاءته بالرسالة قام يتبعها ، وكان بين موسى وبين أبيها ثلاثة أميال ، فهبت ريح فضمت قميصها فوصفت عجيزتها فتحرج موسى من النظر إليها فقال: أرجعى خلفى وأرشدينى إلى الطريق بصوتك، وقيل : إن موسى قال ابتداء : كونى ورائي فإني رجل عبراني لا أنظر في أدبار النساء ، ودليني على الطريق يمينا أو يساراً ، فذلك سبب وصفها (له) بالأمانة ، قاله ابن عباس [1] ".

فغريزة الحياء ، تدفع الإنسان ذو الذوق الرفيع والحس المرهف إلى تغطية جسده ، وعدم إظهار عورته ، وهذا ما يعمل الشيطان جاهداً على نقيضه ، وهذا ما سعى إليه عند وسوسته لآدم وحواء ع وذلك في قوله سبحانه وتعالى :

﴿ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ ۚ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ ﴾ الأعراف: ٢٠ - ٢٢ .

وهذه الآيات التى تقص ما حدث لكل من أبينا آدم وأمنا حواء عبرة لأولى الألباب، ليحذروا من وساوس الشيطان ، ويتجنبوا إظهار ما أمر الله بستره ، ولا يستمعون إلى شياطين الإنس والجن، الذين يبررون ادعاءاتهم بحجج باطلة ، وأسانيد ما أنزل الله بها من سلطان، ويقول القرطبي [2] :

" وفي الآية دليل على قبح كشف العورة ، وأن الله أوجب عليهما الستر ؛ ولذلك ابتدرا إلى سترها ، ولا يمتنع أن يؤمرا بذلك في الجنة ، وقد حكى صاحب البيان عن الشافعى أن من لم يجد ما يستر به عورته إلا ورق الشجر لزمه أن يستتر بذلك .. " .

ونهى رسول الله ﷺ أن يتجرد المرء من ملابسه ، حتى ولو كان خاليا، استحياء من الله عز وجل ، فقد روى عن بَهز بن حكيم بن معاوية القشيري عن أبيه عن جده قال [3] :

---

(1) المرجع السابق ص 271 .

(2) الجامع لأحكام القرآن ج 7 ص181 .

(3) الجامع لأحكام القرآن ج 12 ص 224 ، 225 .

قلت يا رسول الله ، عوراتنا ما نأتي منها وما نذر ؟ قال : " احفظ عورتك إلا من زوجتك أو ما ملكت يمينك ". قال : الرجل يكون مع الرجل ؟ قال: " إن استطعت ألا يراها فافعل ". قلت: فالرجل يكون خاليا ؟ فقال : " الله أحق أن يُستحيا منه من الناس". وقد ذكرت عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا رسول الله ﷺ وحالها معه فقالت: ما رأيت ذلك منه ، ولا رأي ذلك منى " .

– حرم العلماء نصا دخول الحمام بغير مئزر . وقد روى عن ابن عمر أنه قال: أطيب ما أنفق الرجل درهم يعطيه للحمام في خلوة. وصح عن ابن عباس أنه دخل الحمام وهو محرم بالجحفة. فدخوله جائز للرجال بالمآزر ، وكذلك النساء للضرورة كغسلهن من الحيض أو النفاس أو مرض يلحقهن ، والأولى بهن والأفضل لهن غسلهن إن أمكن ذلك في بيوتهن ، فقد روى أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا زبان عن سهل بن معاذ عن أبيه عن أم الدرداء أنه سمعها تقول : لقيني رسول الله ﷺ وقد خرجت من الحمام فقال : " من أين يا أم الدرداء " ؟ فقلت من الحمام؛ فقال : " والذى نفسي بيده ما من امرأة تضع ثيابها في غير بيت أحد من أمهاتها إلا وهي هاتكة كل ستر بينها وبين الرحمن عز وجل "، وخرج أبو بكر البزار عن طاوس عن ابن عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ : " احذروا بيتا يقال له الحمام ". قالوا: يا رسول الله ، ينقى الوسخ ؟ قال: "فاستتروا ". قال أبو محمد عبدالحق : هذا أصح إسناد حديث في هذا الباب ؛ على أن الناس يرسلونه عن طاوس ، وأما ما خرجه أبو داود في هذا من الحظر والإباحة فلا يصح منه شئ لضعف الأسانيد؛ وكذلك ما خرجه الترمذي.

قلت : أما دخول الحمام في هذه الأزمان فحرام على أهل الفضل والدين ؛ لغلبة الجهل على الناس واستسهالهم إذا توسطوا الحمام رمى مآزرهم ، حتى يرى الرجل البهي ذو الشيبة قائما منتصبا وسط الحمام وخارجه باديًا عن عورته ضاما بين فخذيه ولا أحد يغير عليه. هذا أمر بين الرجال فكيف من النساء ! لاسيما بالديار المصرية إذ حماماتهم خالية عن المظاهر التي هي عن أعين الناس سواتر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ! .

- **قال العلماء : فإن استتر فليدخل بعشرة شروط :**

الأول : ألا يدخل إلا بنية التداوى أو بنية التطهير عن الرُّحَضاء .[1]

الثاني : أن يعتمد أوقات الخلوة أو قلة الناس.

الثالث : أن يستر عورته بإزار صفيق .

الرابع : أن يكون نظره إلي الأرض أو يستقبل الحائط لئلا يقع بصره على محظور.

الخامس: أن يغير ما يرى من منكر برفق ، يقول: استتر سترك الله !

السادس: إن دلكه أحد لا يمكنه من عورته، من سرته إلى ركبته إلا امرأته أو جاريته. وقد اختلف في الفخذين هل هما عورة أم لا .

السابع: أن يدخله بأجرة معلومة بشرطٍ أو بعادة الناس .

الثامن : أن يصب الماء على قدر الحاجة .

التاسع : إن لم يقدر على دخوله وحده اتفق مع قوم يحفظون أديانهم على كرائه.

العاشر : أن يتذكر به جنهم، فإن لم يمكنه ذلك كله فليستتر وليجتهد في غض البصر.

ذكر الترمذي أبو عبد الله في نوادر الأصول من حديث طاوس عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : " اتقوا بيتا يقال له الحمام " . قيل : يا رسول الله، إنه يذهب به الوسخ ويذكر النار ؛ فقال : " إن كنتم لابد فاعلين فادخلوه مستترين " . وخرج من حديث أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : "نعم البيت يدخله الرجل المسلم بيت الحمام – وذلك لأنه إذا دخله سأل الله الجنة واستعاذ به من النار– .

والحياء الذى جعله الله من الفطرة الإنسانية النقية لا يزول عند بعض الناس ، إلا بعد أن يتجرأون رويدا رويدا على التعرى تدريجيا ، وبمرور الوقت يعتادون على ذلك ، وإن كنت على يقين أن من يفعل ذلك ، سيظل في قرارة نفسه ، يشعر بالخطأ وأن هناك بصيص من عدم الراحة التامة ، ينبثق من أعماقه فينعكس على تصرفاته ، ويؤثر على مدى راحته النفسية ، لأنه بتركه الحياء يترك الطبع الحيواني يسيطر عليه ، فيبتعد عن الفطرة الإنسانية التى خلقه الله عليها ، وهي التى فيها النورانية والراحة والهدوء النفسي الذي يُشعر المرء بالرضا والاطمئنان.

---

(1) الرحضاء : الستر في أثر الحمى.

obeikandi.com